

## التغلغل الأمريكي في السودان (1851-1885)

د. سحر عباس خضير  
كلية التربية / جامعة ديالى

### المقدمة

حاولت الولايات المتحدة الامريكية منذ بداية ظهورها دولة مستقلة، بعد التوقيع على معاهدة باريس 1783 غداة انتهاء حرب الاستقلال ( 1775 - 1783 )، مد اذرع سيطرتها الى خارج حدودها تأكيداً على استقلالها، ومحاكاة لبريطانيا، الدولة التي ظلت طوال اكثر من مائة وواحد وثمانين عاماً ( 1601 - 1782 ) تستعمرها وتنهب خيراتها، وفرنسا حليفها في حرب الاستقلال. ولما كان تغلغل الولايات المتحدة مستحيلاً في اوربا، فان مجال توسعها انحصر في اقصى شرق اسيا لاسيما في اليابان والصين، ولكنها وجدت بعد اصطدامها بالمصالح الروسية والفرنسية والبرتغالية هناك ان بإمكانها استثمار قوتها الاقتصادية والعسكرية في افريقيا، حيث العاج والصبغ وريش النعام، والاهم كانت تجارة الرقيق .

ضمن هذا الاطار يأتي بحثنا المعنون التغلغل الأمريكي في السودان محاولة متواضعة لكشف المراحل الاولى للتغلغل الأمريكي في شرق أفريقيا وبنشاطاته الثلاثة. ولاسيما ان السودان يمثل بموقعه المهم، مدخلاً الى عمق افريقيا، حلقة مهمة من حلقات التاريخ الاستعماري الأمريكي بعد سيطرتها، التي تكاد تكون مطلقة على غرب افريقيا ممثلة بليبيريا، أي ان الغاية من البحث هو تلمس الخطوات الاولى لدخول الولايات المتحدة في هذا البلد. ومما دفع الباحثة، فضلاً عن اهتمامها بالتاريخ الأمريكي، كان صمت الولايات المتحدة الرسمي والشعبي على حادثة مقتل جون قرنغ، الزعيم المسيحي الجنوبي الذي قاد حرباً زادت في سنواتها عن العشرين عاماً، وهي التي اقامت الدنيا واقعدتها على ما اطلقت عليه "حرب الابداء الجماعية" لسكان جنوب السودان، ومن هنا بدأت الباحثة بحلقة طويلة من البحث والاستقصاء عن تاريخ التواجد الأمريكي في السودان حتى تجمعت لديها وريقات تشكل منها هذا البحث.

لعل ندرة المصادر المتعلقة بصورة مباشرة بموضوع البحث، في مكتبائنا، كانت أهم مشكلة واجهت البحث، فحاولنا التعويض عن ذلك باعتماد بعض المواقع في شبكة المعلومات الدولية.

وكان من الصعب جداً تحديد تاريخ دقيق لبداية التواجد الأمريكي في السودان بسبب ندرة المصادر، غير أن الوثائق الرسمية اشارت الى ان عام 1851 قام شاعر امريكي بزيارة الى

الخرطوم، ربما كانت الاولى لمواطن امريكي، اما التاريخ الثاني 1885 فهو تاريخ اغلاق القنصلية الامريكية في الخرطوم بعد امتداد اذرع الاحتلال البريطاني من مصر اليها فضلا عن قيام ثورة المهدي ونجاحها في الدخول الى الخرطوم في ذلك العام.

قسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت اهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث. تناول المبحث الاول التغلغل التجاري الامريكي في السودان والذي تزامن مع البعثات الارشافية التبشيرية واللذين مهدا الطريق لقيام نوع من التمثيل الدبلوماسي الامريكي في السودان .

اعتمد البحث على جملة من المصادر جاءت وثائق الخارجية الامريكية في مقدمتها ومنها وثائق الأرشيف الوطني الأمريكي والذي يعرف اختصاراً بـ USNA، ووثائق الخارجية الأمريكية Foreign Relation of the United States وتعرف اختصاراً بـ FRUS، اذ ضمنا برقيات متعددة ارسلها القنصل الامريكي العام في الاسكندرية وبرقيات من وكيل القنصل الامريكي في الخرطوم تحدثت عن تفاصيل مهمة عن توجهات الادارة الامريكية في السودان . أما الكتب الاجنبية فكان كتاب المؤرخ الامريكي Sprout المعنون The Rice of American Naval Powers (1776-1918) في مقدمة الكتب المعتمد عليها، اذ ان المؤلف تابع بدقة متناهية السفن الامريكية ورحلاتها ومآملته من مؤن وماعادت به من بضائع. اما كتاب محمد فؤاد شكري المعنون الحكم المصري في السودان ( 1820 – 1885 ) فكان في مقدمة الكتب العربية المعتمدة هنا اذ وردت فيه اشارات واضحة عن التغلغل الامريكي في السودان.

#### أ . التغلغل التجاري

زار الخرطوم الدبلوماسي والشاعر الامريكي جيمس جيارد تايلور (1) James Gayard Taylor عام 1851 وهو في طريقه لرحلة كشفية إلى عمق أفريقيا، وهو اول امريكي يزور السودان بحسب الوثائق التي تحت ايدينا، ولقد كتب تايلور كتاباً ممتعاً عن رحلته تلك التي اقام خلالها اشهر في الخرطوم، وقد ذكر ان المركب التي اقلته الى الخرطوم كانت تحمل العلم الامريكي الذي كان يرفرف للمرة الاولى في سمائها، وقد ظل يرفرف اياما في اثناء بقائها على الشاطيء، بعد رجاء من "ريسها" السوداني كي لاتقوم الحكومة بمصادرتها واستعمالها كعادتها في اعمالها الرسمية (2) .

تكشف هذه الاشارة الى جانب غياب التواجد الامريكي في السودان ، عن مدى ماكانت تلقاه اعلام الدول الغربية من تقدير وماتثيره من هلع واحترام في نفوس المسؤولين في الخرطوم ،

ولاشك ان ظهور العلم الامريكي في سمائها وبقاء تايلور فيها قد اثار انتباه المسؤولين والتجار والاهالي في الولايات المتحدة ، ومهد الطريق لوصول تجار جدد الى السودان .

اشارت وثائق الخارجية الامريكية الى الاهمية التجارية لميناء سواكن، على البحر الاحمر، ورأته المخرج الوحيد لمنتجات مديريات السودان مثل الجلود وسن الفيل وريش النعام والبخور والمستكاوي ( العلك ) المر والبن والصمغ والزعفران والزيد ، وغيرها من منتجات افريقيا، حيث تصل الى الخرطوم فيمر، شمال العاصمة، عن طريق النيل، ومنها كان ينقل على ظهور الجمال حتى سواكن حيث تحملها السفن لاوربا والولايات المتحدة<sup>(3)</sup> .

بناء على تلك التقارير والدعاية التي رافقتها ، ازدادت الرحلات التجارية الامريكية الى سواكن خلال عقد كامل ( 1850 - 1860 ) فأرسلت الولايات المتحدة نحو ست عشرة سفينة تجارية كل سنة الى هناك، وقدرت قيمة البضائع التي نقلتها السفن الامريكية بحوالي المليونين دولار، ولما لم يكن في سواكن، بل في عموم السودان، قنصلية امريكية، كانت القنصلية في القاهرة تقوم بتوثيق وصولات ( فواتير ) البضائع والمحاصيل المصدرة من السودان الى الولايات المتحدة، بعد ان يستلمها التجار الامريكيون المقيمون في مصر<sup>(4)</sup> .

تطور الاقتصاد الامريكي تطوراً هائلاً وسريعاً، بعد الحرب الاهلية ( 1861 - 1865 )<sup>(5)</sup>، في الصناعة والزراعة والتجارة وتحولت من بلد زراعي الى بلد صناعي حتى شغلت الموقع الرابع في حجم المنتجات الصناعية، وظهرت فيها الاحتكارات الرأسمالية الكبيرة أو ما عرف باتحاد الوصاية ( التروستات ) التي قامت بسبب تركيز الانتاج، وكان ظهورها تعبيراً عن تطور الرأسمالية الامريكية لمجابهة المنافسة الخارجية وبخاصة الالمانية التي سبقتها بالظهور، مع محاولة مقاومة الازمات التي كان من الممكن ان تتعرض لها فضلا عن الرغبة الملحة في التوسع الخارجي ووضع ستراتيجيات للتطور وللتراكم الرأسمالي<sup>(6)</sup> .

وظهرت في هذه المرحلة نتيجة لما ذكر اعلاه اتحادات عديدة منها اتحاد ستاندرد اويل Standard Oil Company قدر رأسماله بنحو سبعين مليون دولار، واتحاد زيت القطن الامريكي American Cotton Oil وغيرها من التروستات. وتحت تأثير هذا التطور السريع ابدت الراسمالية الامريكية اهتماما اكبر في توسيع اسواقها الخارجية معتمدة على قدراتها المادية والعسكرية، فأزداد اهتمام الرأسمالية الامريكية بأفريقيا لتصريف منتجاتها ولابقائها مصدرا مهما ورئيساً للمواد الاولية التي كانت تحتاجها المصانع الامريكية فضلا عن ان افريقيا شكلت المكان الملائم لتوظيف رؤوس الاموال الامريكية<sup>(7)</sup> .

اصطدمت رؤوس الاموال الامريكية بعواقب عدة في السودان اولها ماحدث

النفطية، عندما ارسلت، عام 1859، بعثة للتقيب عن النفط في شمال السودان وكانت قد حصلت على ترخيص من الحكومة المصرية<sup>(8)</sup> وعندما باشرت باعمال التقيب في صحراء النوبة، تعرضت الى هجمات قام بها اهالي المنطقة، فقد قتل حارسان امريكيان، من اصل افريقي، وتم سرقة جميع حاجيات المعسكر، في مساء اليوم التالي. وبعد دراسة وتمحيص تبين ان سعر برميل النفط المستخرج، وهو بنوعية رديئة، يعادل عشرة اضعاف سعر البرميل السائد في ذلك الوقت، فضلا عن الاوبئة المنتشرة في المنطقة وحرارة الجو التي تسببت بموت امريكي ثالث كان يعمل مساحا ضمن فريق البعثة. لذلك قفلت البعثة عائدة من حيث اتت، واغلق ملف شركة Morgan للتقيب عن النفط في صحراء السودان<sup>(9)</sup>.

ادت تجارة الرقيق العامرة، بين سواكن وميناء جدة السعودي، دورا بالغ الاهمية في زيادة اهتمام الادارة الامريكية بالسودان، وبحسب الوثائق الامريكية لعام 1873، فان نائب القنصل العام الأمريكي المقيم في سواكن ديمتريوس موسكوناس Demetrus Mosconas كتب تقريراً لواشنطن العاصمة، عندما كان القنصل العام وليم فارمان William Farmann في عطلته السنوية، بحثها على الاسراع في تعيين وكيل قنصلي في ميناء سواكن، مهمته فقط مراقبة وكشفها تجارة الرقيق المستقلة بين ذلك الميناء وميناء جدة. مشيرا الى اعتقال عدد من التجار من اهل سواكن وكان بحوزتهم مائة وثلاثون من الرقيق بالقرب من بربر، وتضمن التقرير اسماء التجار المعتقلين واسماء شركائهم ووكلائهم<sup>(10)</sup>. ولكن رد وزارة الخارجية في واشنطن كان سريعا وحاسما ومقتضبا. اذ رأت بانه ليس من الضروري فتح وكالة امريكية في سواكن والاكتفاء بالقنصيلة في الخرطوم<sup>(11)</sup>.

لعل تأكيد موسكوناس على ضرورة قيام وكالة امريكية لمحاربة تجارة الرقيق بين سواكن وجدة قد دفع المسؤولين في الإدارة الأمريكية إلى ذلك الرفض الحاسم، فرغم احتلال الولايات المتحدة المركز الأدبي والقوة المادية والوازع الديني والأخلاقي ما يمكنها من انجاز منع تجارة الرقيق، إلا أن أوضاعها الداخلية قد تميزت، آنذاك، بنكسة حادة فيما يتعلق بموضوع الرق والزنج، بعد أن بدأت بعض الولايات الجنوبية، التي ظلت محتفظة بشريعة الرق هناك، تستعيد بعضا من نفوذها لاسيما بعد انبثاق جمعيات عنصرية ارهابية نشطة مثل جمعية كوكلاكس كلان Ku Klux Klan التي ركزت نشاطها ضد الزنوج وانصارهم من البيض توسعهم ضربا وقتلا وتخويفا وترهيبا، فضلا عن المعلومات المتواترة من أفريقيا عامة عن تورط الكثير من التجار الأمريكيين بهذه التجارة.

ولكي تحافظ الولايات المتحدة على سمعتها بوصفها بلد الحرية، واحترام حقوق الإنسان، وعدم امتنائه بحجة العرق أو الجنس أو اللون، أصدرت وزارة التجارة الأمريكية، تعليمات مشددة

إلى جميع تجارها بتجنب ممارسة تجارة الرقيق، وتحت أي ظرف كان، وهددتهم في حال نقضهم لتعليماتها بحرمانهم من حمايتها<sup>(12)</sup>.

اقتصرت البضائع الأمريكية الموردة إلى السودان، التي كانت ادارة الأخيرة تستقطع 80% من قيمة البضاعة المستوردة، على بعض الملابس، حيث تم افتتاح محل لبيع الملابس الأمريكية في الخرطوم في الشارع الوحيد في المدينة، واقتصر رواده على المقيمين الأجانب وبعض العرب من المسيحيين واليهود. فضلا عن التبغ والقطن والنفط والمواد ذات العلاقة بالمنتجات النفطية وكذلك شحنات الأسلحة والذخيرة التي خلفتها الحرب الأهلية الأمريكية، وأخيرا الدقيق<sup>(13)</sup>. ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة لم تفكر بفتح بيت تجاري<sup>(14)</sup> في السودان أو تأسيس مصرف امريكي هناك أو إقامة شركات برؤوس أموال مشتركة، بل إنها لم تقم باستثمار رؤوس أموالها هناك رغم تبنيها لما عرف بدبلوماسية الدولار<sup>(15)</sup>، ورغم الاستثمارات الأمريكية في الخارج، فضلا عن دعوة السلطات هناك للشركات الأجنبية، عام 1873، عن نيتها لتبني مشروع لمد سكة حديد بطول 665 كم لربط السودان بسواكن<sup>(16)</sup>.

مما يدل على ضعف النشاط التجاري بين الطرفين، وربما كان للهيمنة البريطانية على المنطقة له دور في ذلك الضعف.

لم يقتصر تغلغل الولايات المتحدة الأمريكية في السودان على الجانب التجاري فحسب بل تزامن ذلك التغلغل مع النشاط التبشيري- الثقافي الذي بدأ مع مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

#### ب. التغلغل الثقافي

كان من بين مظاهر الحياة الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية، تكوين جمعيات تبشيرية بروتستانتية، ظهرت خلال العشر سنوات الأولى من القرن العشرين، شأنها في ذلك شأن بريطانيا. وسرعان ما انطلق نشاط تلك الجمعيات لتعمل خارج حدود بلادها، وكان الاتحاد العام لماساجوستس The General Association of Massachusetts، وهو عبارة عن هيئة لقساوسة الكنائس المستقلة، من أنجح الجمعيات الدينية في ذلك الوقت. ثم قامت الجمعية بتغيير اسمها إلى المجلس الأمريكي للرساليات الخارجية التبشيرية commissioner for foreign American Board of Mission، وقد أرسلت مجموعة من مبشريها إلى أفريقيا، بعد أن لمست النجاح الذي حققه المبشرون البريطانيون والفرنسيون هناك، فضلا عن رغبتهم الملحة في تنصير العرب والأفارقة، رافعين شعار نشر " النور المسيحي بين العالم الوثني"، حيث تمكنت ومن خلال هذا الشعار من جمع التبرعات المالية، ومن مختلف الولايات الأمريكية لتمويل رحلاتها إلى أفريقيا<sup>(17)</sup>.

وصلت اول بعثة تبشيرية أمريكية إلى السودان نهاية 1853، برئاسة فنسنت كودول Codwell وعضوية اثنين من زملائه القساوسة، وحال وصول البعثة بدأت برحلات إلى عمق الأراضي السودانية، وزعت خلالها الكتاب المقدس المترجم إلى اللغة العربية وبعض اللهجات المحلية والكراسات الدينية، بعد أن تولت طبعهما جمعية الكتاب المقدس البريطاني في لندن<sup>(18)</sup>.

كانت بعثة كودول معتمدة بشكل كبير على كامرون Cameron، القنصل البريطاني في الخرطوم، بسبب سلطته الرسمية وكثرة معارفه، فضلا عن عدم وجود تمثيل دبلوماسي أمريكي في عموم السودان<sup>(19)</sup>.

بلغت نفقات البعثة خلال الأشهر الستة الأولى من عام 1854 نحو 202325 دولار. غير أن كودول طلب في رسالة إلى ورسستر Worcester، سكرتيرالجمعية في واشنطن، بتمويل قرض للبعثة بقيمة 9720 دولاراً أخرى ليتمكن من تغطية النفقات الخاصة بطبع الكتاب المقدس وتوزيعه<sup>(20)</sup>.

رغم كل تلك الجهود والنفقات إلا إنها لم تثمر على نتائج مشجعة إذ لم تتمكن من تنصير اي مسلم أو يهودي أو تجعل الأخير يتحول إلى المشيخية<sup>(21)</sup>، بسبب قوة تمسك السكان ببعيدتهم الدينية، فضلا عن الجهود المصرية المكثفة لنشر الاسلام بين القبائل السودانية الوثنية، وفتح المدارس العربية في الخرطوم وام درمان، غرب الخرطوم، وكسلا شرق الخرطوم<sup>(22)</sup>.

وجاءت محاولة كوديل بفتح مدرسة للاطفال في ام درمان، عقيمة للغاية، إذ لم تستمر المدرسة سوى يومين اثنين فقط، فقد قام بعض السكان المسلمين بالاعتداء على المدرسة عندما حطموا ااثاتها واخذوا نسخة العهد الجديد ودفنوها في التراب، وكان ذلك ايذانا بنهاية عمل البعثات التبشيرية الأمريكية في السودان طيلة سبع سنوات قادمة<sup>(23)</sup>.

جاء في تقرير القنصل العام في في الإسكندرية بتاريخ اغسطس/ آب 1865، انه اغتتم فرصة سفر أحد القساوسة الأمريكيين للسودان وطلب منه أن يبعث اليه برسائل منتظمة عن ذلك البلد<sup>(24)</sup>، وكان أول وآخر ردّ للقس ب. س. هوم B..S. Home موجه للقنصل العام، بحسب المصادر التي تحت ايدينا، يعود تاريخها إلى ما بعد سنة لتاريخ الرسالة أعلاه اي أغسطس 1866، وفيها اشارات عن أحوال السكان، ونمط عيشهم، وعدم تقبلهم للغرباء، "بشكل يفوق الوصف"، حسب تعبيره، واضاف بانه يعاني، فضلا عن حرارة الجو واختناقه بسبب كثرة الرمال التي تحيط به، من صعوبة كبيرة في نشر تعاليم الدين المسيحي بين " الوثنيين والمحمديين " هناك. وكانت رسالة تنطق بالمرارة بسبب عدم تحقيقه لأي نجاح تبشيري. وكانت آخر برقية بعثتها مبشر أمريكي لمسؤول حكومي في بلاده، طوال السنوات موضوع البحث<sup>(25)</sup>.

ج. التمثيل القنصلي الأمريكي في السودان:

وردت أول إشارة عن وجود وكيل قنصلي في كتاب الرحالة البريطاني صموئيل بيكر Samuel Baker، عند مروره بالخرطوم، في يونيو/ حزيران 1862، عندما ذكر أن هناك ثلاثة وكلاء قناصل في الخرطوم لفرنسا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(26)</sup>، وهي إشارة واضحة عن وجود الوكالة في الخرطوم قبل هذا التاريخ بالتأكيد، رغم أن الوثائق والمصادر المتوافرة لدينا لا نجد فيها أي ذكر لوجود هذه الوكالة، وسبق أن ذكرنا أن الدبلوماسي الأمريكي قال ان العلم الأمريكي رُفِر لأول مرة فوق سماء الخرطوم عام 1851، من هنا يمكننا تحديد تاريخ لفتح الوكالة ما بين سنة 1851 وسنة 1862، ويمكن أن نزيد التاريخ دقة إذا ما عرفنا إن وثائق البعثات التبشيرية الأمريكية التي غادرت الأراضي السودانية في يناير/ كانون الثاني 1855، لم تشر في وثائقها إلى وجود أي نوع من التمثيل الدبلوماسي الأمريكي في السودان، أي ان تاريخ فتح اول وكالة امريكية كانت بين مطلع 1855 ومنتصف 1862.

كانت الإشارة الرسمية الأولى لوجود تمثيل دبلوماسي أمريكي في السودان قد وردت في تقرير أرسله جورج بتلر George Butler، القنصل العام الأمريكي في مصر في يوليو/ تموز 1862، فقد أرفق القنصل العام مع تقريره رسالة من جون بثرِك John Pethrich، القنصل البريطاني في الخرطوم، ينعى فيها الرحالة الأمريكي كلارنس م. براونيل Clarence M. Brownell، الذي مات من الحمى في أعالي النيل، وذكر بثرِك، في رسالته، انه قام ببيع بعض ممتلكات براونيل وسيقوم عند عودته إلى الخرطوم بإيداع المبلغ مع بقية مخلفاته الشخصية لدى الوكيل القنصلي للولايات المتحدة الأمريكية والذي يحتفظ للرحالة ببعض حاجياته<sup>(27)</sup>.

لم يبد القنصل العام، في تقريره لخارجية بلاده، أي تعليق على إشارة بثرِك، بشأن الوكيل القنصلي للولايات المتحدة في الخرطوم، بل هو حتى لم يشير إلى اسمه، مما يعني ان إشارة بثرِك كانت امرا عاديا لاتحتاج إلى تعليق.

بعد مرور اربع سنوات كاملة، بعث القنصل العام الأمريكي بتقرير إلى واشنطن العاصمة، أعلن فيه عن فشل موظفي قنصليته في الحصول على المال الخاص بالرحالة براونيل والذي أودع الخرطوم، معللا السبب في انعدام وسائل المواصلات مع ذلك "البلد النائي" حيث جعلت المهمة عسيرة<sup>(28)</sup>. وربما في ذلك إشارة على ضعف الوكالة او غياب التنسيق بين القنصلية العامة والوكالة، او ربما لغلق الوكالة نهائيا، وإشارة القنصل العام في الاسكندرية في توظيف احد القساوسة لنقل أخبار ذلك البلد، المار ذكرها، يلقي ظلًا عريضاً من الشك في أمر وجود الوكيل القنصلي آنذاك، وإلا لحاولت القنصلية العامة الاستفادة منه.

رشح القنصل الأمريكي العام في القاهرة وليم فارمان، الذي خلف بنتر، في يونيو/ حزيران 1871 عازر عبد الملك Azar Abdel- Melak، قبطي من التجار العرب ومن كبار المصدرين السودانيين للصبغ للولايات المتحدة، ليكون وكيل القنصل الأمريكي في السودان<sup>(29)</sup>، وقد وقع اختيار فارمان على عازر عبد الملك لمعرفته اللغوية الإنجليزية، فضلا عن تمتعه باحترام مواطنيه من مسلمين واقباط، وله علاقات واسعة مع شيوخ السودان، ولديه الكثير من الاصدقاء الامريكيين، وربما لكونه من غير المسلمين الأثر البالغ في اختياره دون سواه لرعاية المصالح الأمريكية في السودان. وبحسب وثائق الخارجية الأمريكية فان عازر عبد الملك سبق ومد جورج بنتر ببعض المعلومات المتعلقة بوادي النيل والتي كانت تخدم المصالح الأمريكية في السودان<sup>(30)</sup>.

وافقت الخارجية الأمريكية، بعد شهر، على تعيين عازر عبد الملك وكيلاً قنصلياً للولايات المتحدة في الخرطوم، وكتبت إلى القنصل العام مذكرة بذلك، وهكذا أصبح عازر عبد الملك رسمياً الوكيل القنصلي للولايات المتحدة في الخرطوم، وكانت أولى أعماله رفع العلم الأمريكي، بنفسه، على بناية الوكالة القنصلية في وسط الخرطوم<sup>(31)</sup>. عمل عازر عبد الملك ما بوسعه لارضاء القنصلية العامة، فكان عادة ما يذهب بنفسه إلى الميناء لاستقبال من يأتي من الصحفيين والكتاب وبعض الشخصيات الأمريكية، لزيارة السودان، وكان يساعدهم في العثور على منازل للاقامة ويقدم المآدب على شرف زائريه، ويعرفهم، في اثناء المآدب، على كبار موظفي الادارة السودانية، والقناصل الأجانب المعتمدين وأعيان البلد، وهذا دليل عما أشرنا له سابقاً من تمتعه باحترام مواطنيه ورعايا البلدان الأخرى<sup>(32)</sup>. حافظ عازر على علاقته الجيدة بموظفي الخارجية الأمريكية وانتظمت برقيات، ساعده في ذلك تحسن طرق المواصلات والبريد بين مصر والسودان، فمثلا كان يطلع الخارجية الامريكية عن أخبار الرحالة والمكتشفين الأمريكيين مثل عودتهم إلى الخرطوم أو سفرهم منها، بل كانت رسائله تتحدث حتى عن الطقس من جفاف أو غزارة في الأمطار. وكانت القنصلية العامة في مصر تشجعه على اطلاعها على ما يستجد من شؤون لا سيما تحركات القنصل البريطاني في السودان. مما يدل على أن عازر قد تعدى عمله القنصلي إلى المجال السياسي والاستخباراتي<sup>(33)</sup>.

اقترح فارمان فتح قنصلية اخرى في السودان، دليل على اهتمام القنصلية بشؤون ذلك البلد، ورأى ان ميناء سواكن هو المكان الأنسب لفتحها لأهميته التجارية، ولفت أنظار رؤوسائه إلى أن وجود قنصل في سواكن سيسهل العمليات التجارية الأمريكية ويختصر الكثير من الوقت والجهد، إذا ما تم نقل الوثائق للتصديق إلى الخرطوم أو إلى الاسكندرية، ولمراقبة تجارة الرقيق،



واقترح تعيين التاجر اليوناني ديمتريوس موسكاناس، المار ذكره، كونه من المقيمين في الميناء وكان يجيد اللغتين العربية والانجليزية، لوظيفة الوكيل القنصلي<sup>(34)</sup>، وافقت الخارجية الأمريكية على تعيين موسكاناس نائبا للقنصل العام في سواكن ولكنها رفضت فتح وكالة للقنصلية هناك وجوبه المقترح نفسه بالرفض الذي تقدم به موسكاناس كما مر معنا<sup>(35)</sup>.

قسم الخديوي اسماعيل، حاكم مصر (1863-1879) السودان عام 1870 على قسمين بسبب كبر المساحة، وللسيطرة على تجارة الرقيق، فكان القسم الأول يمتد من شمال صحراء النوبة إلى فاشودة وسمي بالسودان، أما القسم المتبقي فسمي بأقليم خط الاستواء. ورغم تولي غوردن حكم الأقليم الثاني إلا ان اسماعيل كان يحاول ابعاد البريطانيين والفرنسيين عن بلاده، ويجاد دولة بديلة ليست ذات اطماع ظاهرة في مصر والسودان، فوجد ضالته في الولايات المتحدة. ساعده في ذلك الاختيار، تسريح عدد من الضباط الأمريكيين من الخدمة على اثر انتهاء الحرب الاهلية الأمريكية، وانشغال الحكومة الفرنسية بمشاكلها الداخلية بعد حرب السبعين لذلك استخدم مجموعة شكل منهم هيئة أركان الحرب<sup>(36)</sup>، ووقعوا عقودا على الخدمة والعمل في الجيش المصري، ثم اصبحت رئاسة أركان الحرب بامرتهم، وقد وصل عددهم عام 1878 إلى نحو خمسين ضابطا، وكان من ضمن اختصاصهم وضع الخرائط الطبوغرافية عن مصر والسودان، والقيام بالرحلات الاستكشافية والمساهمة في حملات اسماعيل باشا الحربية خارج مصر<sup>(37)</sup>، وانتدب قسما منهم للعمل في السودان، فقد اشارت احدى رسائل عازر عبد الملك إلى وفاة الضابط كامبل في جنوب السودان. ولم يقتصر استخدام الضباط الأمريكيين على المصريين بل أن غوردن استخدم الضابط براوث Prooth في مديرية خط الاستواء عام 1878<sup>(38)</sup>.

احتلت بريطانيا مصر عام 1882، لتبدأ معها مرحلة جديدة من تاريخ المنطقة، وما يهمننا في هذا البحث صدور قانون تعديل المؤسسات القضائية والجنائية عام 1884، الذي ساوى بين المصريين والأجانب، وبذلك انتفت الحاجة لاستمرار الوكالات القنصلية في مصر والسودان. وفي ابريل /نيسان، من العام نفسه، ارسل جورج بومروي George Pomeroy، القنصل الأمريكي العام في القاهرة، تقريرا إلى حكومة بلاده يطلب موافقتها على تصفية الوكالات القنصلية، لأنها لم تعد تقدم خدماتها بل أن بعض الوكلاء، بدأ يسبب العديد من المشاكل بين القنصلية العامة في القاهرة والادارة البريطانية في مصر، واوصى بالغاء وكالات طنطا والمنصورة وبني سويف ودمياط واسيوط والخرطوم، ولعله من غريب الصدف ان يقرر الكونغرس الأمريكي، بعد ثلاثة أيام فقط من كتابة ذلك التقرير، وقبل وصوله إلى العاصمة واشنطن، الغاء القنصلية العامة في القاهرة نفسها، واعفاء القنصل العام من منصبه، وذلك بسبب تبعات الاحتلال البريطاني، وطلب الحكومة البريطانية من الدول الأجنبية التي كان لها تمثيل دبلوماسي

في مصر بالتعامل معها مباشرة، الأمر الذي اغضب بومروي فغادر القاهرة محتجا ودون اخطار السلطات المعنية في مصر او نظرائه من القناصل العامين بمغادرته البلاد او اسبابها، كما جرى العرف الدبلوماسي والقنصلي<sup>(39)</sup>.

كان من الصعب ارسال قرار الغاء الوكالة القنصلية إلى عازر عبد الملك، بسبب انقطاع الاتصال التلغرافي بين بربر والخرطوم لسيطرة قوات الثورة المهديية على المنطقة الواقعة شمال العاصمة لذلك انعزلت الخرطوم عن مصر، وعاش عازر ايام الحصار على الخرطوم، ولاقى حتفه على ايدي ثوار المهدي<sup>(40)</sup> بعدما سقطت العاصمة بيدهم عام 1885، وهو يحسب نفسه الوكيل القنصلي للولايات المتحدة في الخرطوم<sup>(41)</sup>.

بموت عازر عبد الملك طويت صفحة من صفحات تاريخ الدبلوماسية الامريكية في المنطقة العربية.

### الخاتمة

أدى البعد الجغرافي، فضلا عن اسباب اخرى من بينها الظرفية التاريخية التي مرت بها الولايات المتحدة من تأخر اعلان الاستقلال وقيام الوحدة، والتواجد البريطاني والفرنسي في أفريقيا، دورا مهما في ابتعاد الولايات المتحدة عن التغلغل في السودان ولكن بعد ظهورها دولة موحدة في اعقاب الحرب الأهلية وتبؤها للمراكز المتقدمة من العالم الصناعي، وظهر ما عرف باتحاد الوصاية Trust وضعها أمام خيارين هما : أما الدخول في لعبة المستعمرات، او الابتعاد عن عملية اقتسام الغنائم مع الأوربيين. فاختارت الخيار الأول ساعدها في ذلك تطور قوتها البحرية، ثم حاولت اتخاذ سياسة جديدة ترافق التدخل العسكري فاتبعت سياسة التغلغل الاقتصادي ولاسيما بعد تطور كفاءة الانتاج والشحن. ومع كل ذلك تميزت مراحل التغلغل الأولى في السودان بالضعف العام من الناحية التجارية والتبشيرية، فرغم ثروات السودان من المواد الأولية، من ريش النعام والصبغ والعاج وغيرها، لم تستفد الولايات المتحدة شيئا منها لضعف

مردودها المالي بسبب عدم الجدية الحكومية التي رافقت المراحل الأولى للتغلغل بدليل غياب التمثيل القنصلي الأمريكي في عموم السودان لما بين 1855 و 1862، وحتى مع وجود ذلك التمثيل فإنه تركز في ايدي غير امريكية من سودانية ويونانية واقتصر على العاصمة فحسب، ويكفي أن نشير انه كان لها في مصر على سبيل المثال لا الحصر اثني عشر وكيل قنصلي للولايات المتحدة الأمريكية. ومع ذلك فان الوكالة القنصلية في السودان لم تستمر طويلا إذ أغلقت ابوابها بعد الثورة المهدية.

#### الهوامش

- (1) دبلوماسي وشاعر، اول من ترجم رواية فاوست للشاعر غوته من الالمانية الى الانكليزية .
- (2) احمد الامين البشير، العلاقات الدبلوماسية بين السودان والولايات المتحدة 1871 - 1885، الجزء الثاني ، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ 22 تموز 2005 على الموقع :  
www. Sudanese American Community Development Organization .com
- (3) U.S.N.A., Roll, II, 890 G. 6363 / 1990, No. 295, from Goatherds Development To President of Egyptian – American the secretary of state , November 1,1858 , P719 .

(4) Sprout, Harold, the Rise of American Naval Powers 1776-1918, Princeton, Sam& C., 1939, P.75-76.

(5) كان من اسباب الحرب ظهور نزعة التوسع الاستثماري في الغرب الامريكي، وحصول نزاع بين الاقطاع والاتجاه الراسمالي. وكانت نتيجة الحرب انتصار الشمال على الجنوب، اي انتصار الاتجاه الراسمالي على الاقطاعي، والغاء الرق تدريجيا، وزيادة التطور الراسمالي ليشمل البلاد بكاملها مع زيادة مركزية الحكومة سياسيا ولقصاديا. للتفاصيل ينظر: بيرد و بيرد، تشارلز وماري، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، ج 2، دمشق، دار العربية، 1961، ص 50 .

(6) هايكر ، لويس ، الراسمالية الامريكية ماأنجزته ، وماتعد له ، ترجمة علي الحفار ، بيروت ، المكتبة الثقافية، 1957 ، ص 74-84 ؛ حسن علي سبتي الفتلاوي، موقف الولايات المتحدة من الحرب العالمية الأولى ونتائجها، بغداد، 2002، ص6.

(7) Polk, William. The United States and the Arab world, Massachusetts, Harvard University Press, 1965, p. 92.

(8) ارسل محمد علي باشا، والي مصر، قواته واحتل السودان مطلع عام 1820 ، لاسباب عدة منها التوسع الجغرافي، مد اذرع سلطته، الاستفادة من خيرات تلك المنطقة، انتهاء الحرب الدائرة بين قبائل السودان وممالكه، تأمين طرق مواصلات التجارة المصرية مع افريقيا، السيطرة على تجارة الرقيق. وبقيت السودان خاضعة للحكم المصري حتى عام 1885. ينظر: محمد فؤاد شكري، الحكم المصري للسودان 1820-1885، القاهرة، دار الفكر العربي، 1947، ص120.

(9) Sampson. Antony, the Seven Sisters. The Great Oil Company and the world they made, London, Auchland, 1975, p. 227.

(10) FRUS., 1873, vol.II, No.25, Report From Mosconas,Souken, to the State Department ,August21, 1873, p.541.

(11) Ibid., Letter from The State Department, Washington (D.C) to Mr. Mosconas, September241873, p.593.

- (12) عبد السلام الهرماسي، الرق ماضييه وحاضرته، الطبعة الثانية، الكويت، دار السلاسل، 1985، ص231.
- (13) Sprout, Op. Cit, P.79; Leniors, Wright, United States Policy toward Egypt 1830-1914, Washington, John Hoboken's LTD, 1954, P.173.
- (14) لم تهتم الولايات المتحدة بفتح غرف تجارية لها في الخارج، فمثلا لم تفكر في فتح غرف تجارية في الدولة العثمانية، وهي الأكبر والأهم من السودان، إلا في عام 1911، أي بعد نحو قرن كامل من بداية علاقتها التجارية معها. للتفاصيل ينظر: سحر عباس خضير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تركيا ( 1917 - 1923)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002، ص38.
- (15) أدى تراكم الاستثمارات الأمريكية في الخارج إلى التفكير باتباع سياسة جديدة للمساعدة على استمرار تدفق الاستثمارات إلى الخارج، فقد صدرت قوانين وتشريعات من الكونغرس أفسحت المجال امام الرساميل الأمريكية للعمل في الخارج، بما يؤمن فرصا ذهبية لجني أرباحا خيالية تفيد المستثمر والولايات المتحدة والبلد صاحب العلاقة. ينظر: بيرد، المصدر السابق، ج 2، ص112.
- (16) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان، ص117.
- (17) Show, P.E., American contact with the Eastern Churches, Chicago, Chicago University press, 1937, p. 30.
- (18) Ibid., p.34.
- (19) USNA., Roll.IV, 935G.D.312, from Codwell to Worcester, Feb.16, 1854, P. 23.
- (20) Ibid., P.23.
- (21) المشيخية Presbyterian: احدى الطوائف البروتستانتية مقرها في الولايات المتحدة، أسسها جون كالفن، اللاهوتي الفرنسي (1506-1564)، وهي ذات تنظيم عال هرمه الأعلى شيوخ ينتخبهم تجمع كنسي، عكس باقي الطوائف البروتستانتية إذ يتم انتخابهم من الاساقفة، ويتمتع الشيوخ جميعهم بمنزلة واحدة. ينظر: Show, Op. Cit, P. 10

(22) شوقي عطا الله الجمل، تاريخ السودان وادي النيل، القاهرة، دار المعارف، 1952، ص142.

(23) Show, Op.Cit, P.39.

(24) USNA, Roll. V, 945G.D331, Alexandra to State Department, August31, 1865, P.152.

(25) Ibid., From B.S. Home to Alexandra, August20, 1866, P. 212.

(26) أحمد الأمين البشير، المصدر السابق.

(27) FRUS., No.485/80/2, Memorandum on the "The General situation in Egypt" by George Butler,

July 30, 1862, P. 728.

(28) Ibid., Telegrams No. 111,112/794, From George Butler to department of State, August7, 1866, P.899.

(29) Ibid., Telegram, No.126, 112/794, From Farman to department of States, June 2, 1871, P.984.

(30) Ibid., P.985.

(31) Ibid., Memorandum of Conversations on Capital, October13, 1871, P.1003.

(32) أحمد الأمين البشير، المصدر السابق.

(33) FRUS., No.489/80/2, Letter from Farman to department of States, December30, 1872, P. 22.

34) Ibid., Letter from Farman to department of Sates, May 15, 1873P.

(21).

(35) Ibid., Letter from Hanez to Farman, Jon 17, 1873, P. 34.

(36) وهم كل من الجنرال بوريجار والكابتن تادوس موت والجنرال وليام شيرمان والجنرال وليام

لورنج والجنرال هنري سبلي والجنرال بومروي ستون وغيرهم. للتفاصيل ينظر:

محمد فؤاد شكري، ، مصر والسودان تأريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع

عشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، 1963، ص109.

(37) المصدر نفسه، ص108-109؛ السيد سليم، اسماعيل باشا بعد مرور خمسين سنة على

وفاته، " الجيش " (مجلة)، القاهرة، مج3، ع8، السنة11، 1930، ص226.

(38) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تأريخ وحدة بلاد النيل السياسية، ص110.

(39) احمد الأمين البشير، المصدر السابق.

(40) عانى الشعب السوداني كثيرا من جور حكامه من مصريين وبريطانيين، فظهر في آب 1881 رجل سوداني كان اسمه محمد بن أحمد، ادعى انه المهدي المنتظر (عليه السلام)، وانه جاء ليخلص الناس من الظلم ونشر العدالة بينهم. ارسلت الحكومة المصرية حملة ضده لكنه تمكن من الانتصار عليها، وبعد الاحتلال البريطاني لمصر جهزت بريطانيا حملة كبرى عليه لكنه تمكن من هزيمتها ودخل الخرطوم منتصرا عام 1885. ومات بعد دخوله العاصمة بايام، وتولى نائبه عبد الله التعايشي حكم الدولة التي اسقطتها بريطانيا عام 1898. للتفاصيل ينظر:

لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيف البستاني، موسكو، دار التقدم، 1971، ص 308-312.

(41) احمد الأمين البشير، المصدر السابق.